عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

١ «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ،

٢ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[1].

(١) رواه مسلم (٢٨٢٢).

آيات

- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].
- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٢، ١٤٣].
- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦].
- ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].
- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].
- ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

الراوي

هو: أبو حمزةَ، أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ الأنصاريُّ، الإمامُ، المفتي، المقرئ، المحدِّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وآخر أصحابه بالبصرة موتًا، قَدِمَ رسولُ الله المدينة وهو ابنُ عَشْرٍ، ومات وهو ابنُ عشرين، وغزا معه غَيْرَ مَرَّةٍ فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدُمُه، وإنما لم يعُده أصحابُ المغازي في البدريين، لكونه حضرها صبيا ولم يكن في سن من يقاتل، وبايَع تحتَ الشجرة. تُوفِّي سنةَ: (٩٣هـ)[1].

خلاصة

يذكر النبيُّ ﷺ أنَّ الله تعالى أحاط الجنة بما يكرهه الإنسان من التكاليف ونحوها، وأحاط النَّار بما يشتهي الإنسان من الملذَّات والشهوات؛ زيادةً في الابتلاء.

(١) تراجع ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٤/ ٤١٧-٤٢٣)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٢٣١)، «معجم الصحابة» للبغويِّ (١/ ٤٣)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ١٥١-١٥٣).

فقـــه

١ يذكر النبيُّ ﷺ أنَّ الله تعالى قد **أحاط** الجنَّة بالمكاره التي تثقل على الإنسان، وهي أداء الفرائض والابتعاد عن المناهي.

فالفرائض بطبعها ثقيلةٌ على الإنسان؛ فليس سهلًا أن يقطع العبدُ وقتَه كلَّ حينٍ لأداء صلاةٍ من الصلوات، خاصةً مع اشتداد البرد، فضلًا عن ترك بساط النوم والاصطفاف بين يدي الله تعالى في ظلامِ الليل لأداء صلاة الفجر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وكذلك بذل جزءٍ من المالِ عن طيب نفسٍ للفقراء والمحتاجين، ناهيك عن الصيام والامتناع عن الطعام والشراب والشهوة زمانًا طويلًا، إلى غير ذلك.

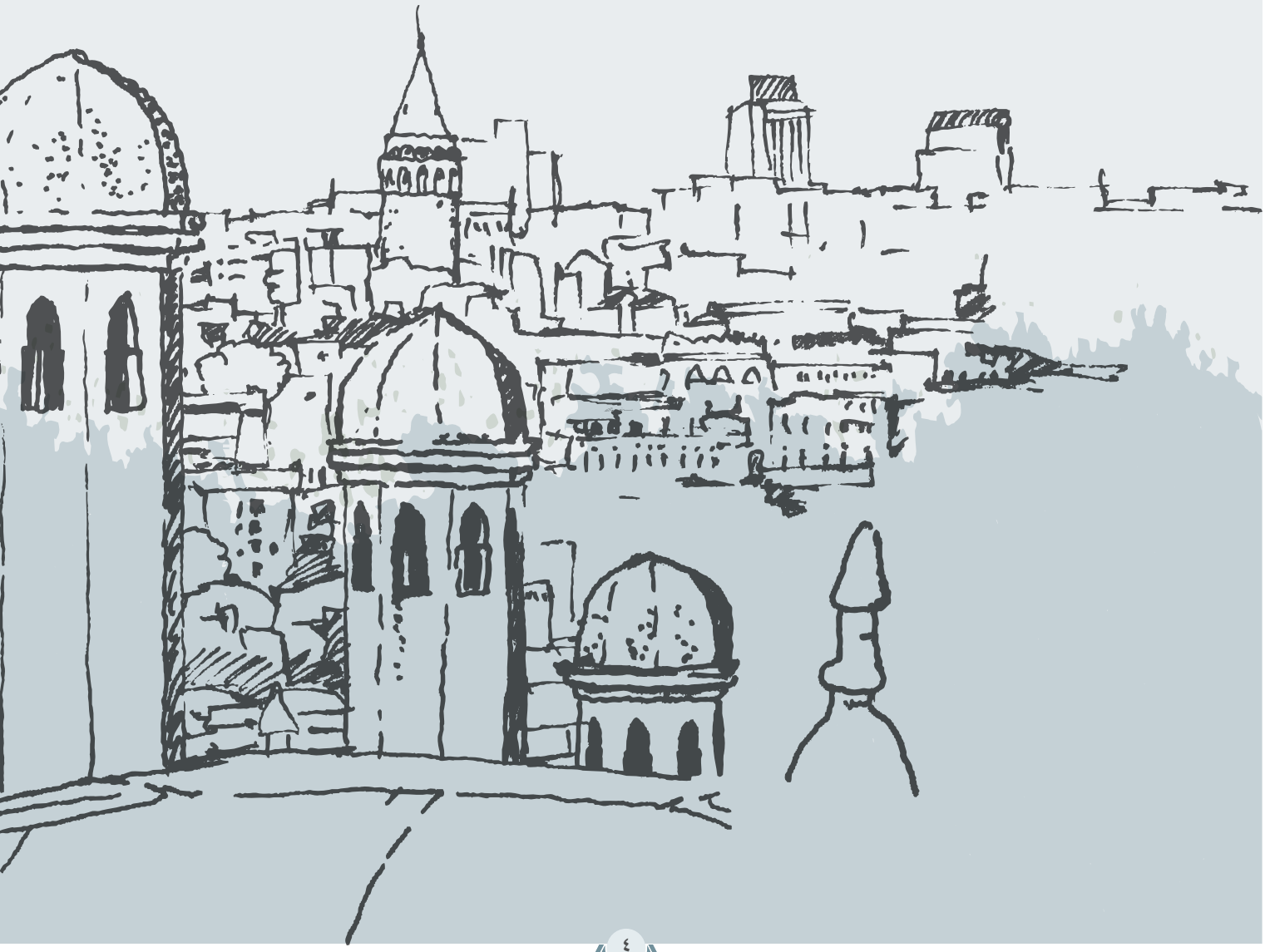

كذلك فإنه يثقل على الإنسان أن ينتهيَ عن المنهيَّات التي تألفُها النَّفسُ وتهفو إليها، وتكثر وسوسة الشيطان على اقترافها، من الزنا ومقدماته، وأكل أموال الناس، وشُرب المُسكرات، واستماع المعازف ونحو ذلك.

٢ وأُحيطت النَّارُ بالشهوات؛ فلولا الشهوات وتسويل الشيطان وغواية النفس بتلك الشهوات لَمَا عصى الله أحدٌ.

ولا شكَّ أن تلك الشهوات هي الَّتي حرَّمها اللهُ تعالى على خلقه، لا ما أباح لهم من الاستمتاع به، كالأكل والشراب الطَّيِّب المباح، والاستمتاع بالزوجة ومِلْكِ اليمين، وملاعبة الأولاد والأهل والتحدث إليهم.

١ في الحديثِ أمرٌ بالصبرِ على المكاره؛ فإنها سبيلُ دخولِ الجنة، وأمرٌ باجتناب الشهوات والبعد عنها؛ فإنها طريق دخول النار.

٢ من صبر على شيء في الدنيا عوضه الله من جنسه ما هو خير منه يوم القيامة.

٣ الفائز من باع دنياه بآخرته، والخاسر من باع آخرته بدنياه.

٤ العاقلُ من يصبر على تحمُّل مشاقِّ الفرائض والرغبة إلى الشهوات في هذه الدنيا الفانية مُقابل الاستمتاع بالجنةِ ونعيمها أبدًا.

٥ في الحديث بيان أن العبد يحتاج في الحياة الدنيا إلى مُجاهدة عظيمة، يُجاهد نفسه في الله - عزَّ وجلَّ - فمن كانت نفسُه شريفةً، وهِمَّته عاليةً، لم يَرْضَ لها بالمعاصي؛ فإنَّها خيانةٌ، ولا يرضى بالخيانة إلا مَن لا نَفْسَ له[٢].

٦ يدخل في المكاره: الاجتهاد في العبادات، والمواظبة عليها، والصّبر على مشاقِّها، وكَظم الغيظ، والعفو، والحِلم، والصَّدقة، والإحسان إلى المسيء، والصّبر عن الشَّهوات، وجميع أعمال الخير[٣].

٧ قال ابن القيم -رحمه الله-: «ادْعُ نفسك إلى ما أَعَدَّ الله لأوليائه وأهلِ طاعته من النعيم الْمُقيم، والسعادة الأَبَدية، والفوز الأكبر، وما أَعَدَّ لأهل البَطالة والإضاعة من الخِزْيِ والعِقاب والحَسَرات الدائمة، ثم اخْتَرْ أيَّ القِسمينِ أَلْيَقُ بك، وكلٌّ يَعمَل على شاكِلته، وكلُّ أحد يصبو إلى ما يناسِبه، وما هو الأَوْلى به، ولا تَستطِلْ هذا العلاج؛ فشِدَّةُ الحاجة إليه من الطَّبيب والعَليل دَعَت إلى بَسْطِه»[٤].

٨ لمَّا انطلقت شرارة الحربِ يوم بدر، حفَّز النبيُّ ﷺ أصحابَه إلى القتال، وقال: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، فقال عُمَيْرُ بنُ الحُمَام الأنصاري رضي الله عنه: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (١/ ٢٠٣).

(٣) «شرح النوويِّ على مسلم» (١٧/ ١٦٥).

(٤) «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم (٤/ ١٧٩، ١٨٠).

يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. فانظر وتأسَّ: كيف اشترى الجنَّة بالجهاد في سبيلِ الله، وهو كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وآثر نعيمَ الجَنَّةِ الخالدةِ على متاع الحياة الدنيا الزائل الزائف.

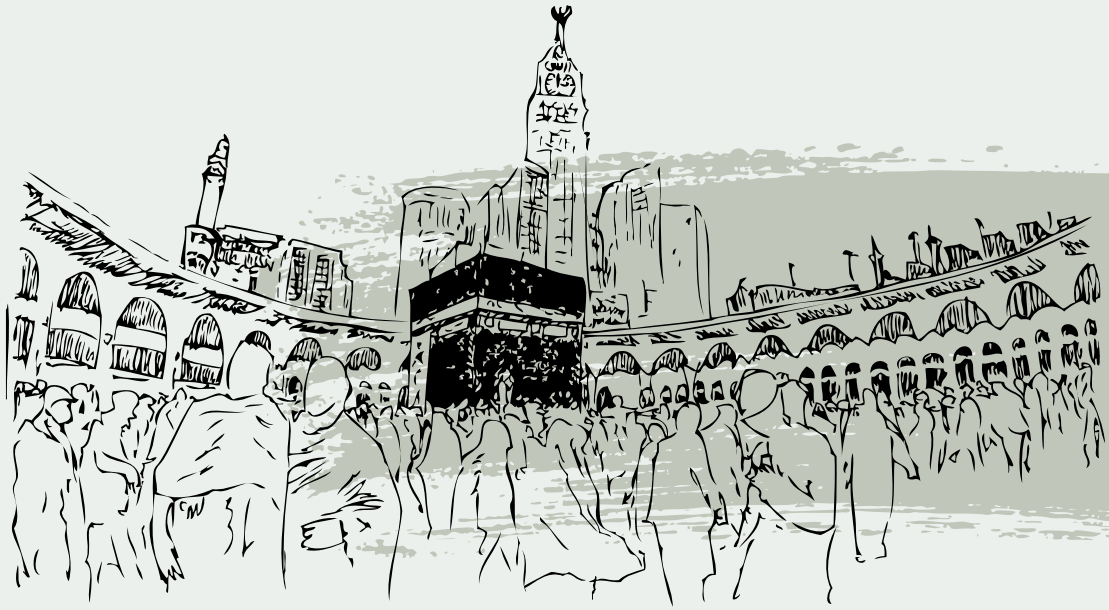

قال الشاعر:

وَإِنَّ جِنَانَ الخُلْدِ تَبْقَى وَمَنْ بِهَا ... مُقِيمًا عَلَى طُوْلِ المُدَى لَيْسَ يَرْحَلُ
أُعِدَّتْ لِمَنْ يَخْشَى الإِلَهَ وَيَتَّقِي ... وَمَاتَ عَلَى التَّوحِيدِ فَهْوَ مُهَلَّلُ

وقال غيره:

إِذَا أَذْكَرَتْكَ النَّفْسُ دُنْيَا دَنِيَّةً ... فَلا تَنْسَ رَوْضَاتِ الْجِنَانِ وَخُلْدَهَا
لَسْتَ تَرَى الدُّنْيَا وَتَنْغِيصَ عَيْشِهَا ... وَإِتْعَابَهَا لِلمُكْثِرِينَ وَكَدَّهَا
وَأَدْنَى بَنِي الدُّنْيَا إِلَى الغَيِّ وَالعَمَى ... لَمَنْ يَبْتَغِي مِنْهَا سَنَاهَا وَمَجْدَهَا
هَوَى النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ تَغُولَهَا ... كَمَا غَالَتِ الدُّنْيَا أَبَاهَا وَجَدَّهَا